﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة: 119]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمّا كفر المعاندون من اليهودِ والنّصارى ومشركي العرب وازدادوا إعراضًا عن رسالته ﷺ، وطلبوا أن يكلِّمَهم الله، أو أن تأتيَهم آية كي يؤمنوا؛ خاطب الله جلّ شأنه نبيَّه ﷺ مبيّنًا له وللعالمين بأنّه أرسله بشيرًا ونذيرًا، والآيةُ، "جملةٌ معترِضَةٌ بين حكاياتِ أحوالِ المشركين وأهل الكتابِ، القصدُ منها تأنيسُ الرَّسول عليه الصَّلاةُ والسَّلام من أَسَفِه على ما لَقِيَه من أهلِ الكتابِ، ممَّا يُماثِلُ ما لَقِيَه من المشركين"(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: فعل ماضٍ، المجرّد منه (أرسلَ)، والجذر اللّغويّ له (رسل)، وأصل المعنى "يدُلُّ على الانبعاث والامتداد، فالرّسل السّير السّهل"(2) و "أصلُ الرُّسل الانبعاثُ على التُّؤَدَة، ويُقال ناقَةٌ رِسْلَةٌ سهلَةُ السَّير، وإبِلٌ مَرَاسِيلُ، مُنبَعِثَةٌ انبِعَاثًا سَهلًا، و﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: بمعنى جعلناك رسُولاً من عندنا للنَّاس، أي: أنت الرَّسُولُ المُنبَعِثُ"(3)؛ فالرّسولُ هو المبعوثُ من الله تعالى إلى خلقِه.

2) ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: اسم ثلاثيّ جذره اللّغويّ من (حقق) "وهُو يدُلُّ على إحكام الشَّيء وصحَّته، فالحقُّ نقيضُ الباطل، ثُمَّ يرجعُ كلُّ فرع إليه بجَودة الاستخراج، وحُسن التّلفيق، ويُقال حَقَّ الشَّيء وَجَبَ"(4).

والحقُّ هنا الدِّينُ، وما أنزلَ اللّهُ لعباده عن طريق أنبيائه ورُسُلِه.

﴿بَشِيرٗا﴾: اسم فاعل بمعنى (مُبشّر) أو صيغة مبالغة على وزن (فَعِيل)، وجذره اللّغويّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/691.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رسل).
(3) الرّاغب، المفردات: (رسل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حق).

(بشر) ومعنى الجذر في الأصل "ظهور الشّيء مع حسن وجمال، فالبشرةُ ظاهرُ جلد الإنسان ... وسمّيّ البشرُ بشرًا لظهورهم، والبشير الحسن الوجه، والبشارة، الجمال ... ويقال بشّرت فلانًا أبشّره تبشيرًا، وذلك يكون بالخير"[1].

"واستبشرَ إذا وجد ما يُبشِّرُهُ من الفرح ... والبشيرُ المُبَشِّرُ"[2] وعموم معنى البشارة هو نقلُ الخبرِ المُفرحِ، ويكون أكثره في الخير "والبشرى اسمٌ للبشارة، وهي الإخبار بما فيه مَسرَّة للمخبَر"[3] وهو كذلك في الآية، وهو وصف له ﷺ.

3) ﴿وَنَذِيرًا﴾: اسم فاعل بمعنى (مُنْذِر) أو صيغة مبالغة على وزن (فَعِيل)، وجذره اللّغويّ (نذر) ومعنى الجذر في الأصل دلالته "على تخويفٍ أو تخوّف... ولا يكاد يكون إلاّ في التّخويف"[4]، والمعنى العام له "إخبارٌ فيه تخويفٌ، كما أنّ التّبشِيرَ إخبارٌ فيه سُرُورٌ"[5].

ونقل السَّمين الحَلبيّ عن ابن عرفة "(الإنذار): الإعلام بالشّيء الّذي يحذر منه، وكلّ منذرٍ مُعْلِمٌ، وليس كلُّ مُعْلِمٍ مُنذرًا"[6]، ومعنى النّذير في الآية هو المُنذر، وهو وصفٌ له ﷺ.

4) ﴿تُسْـَٔلُ﴾: فعل مضارع مبني للمفعول أو المجهول[7]، الماضي المُجرّد منه (سألَ)، جذره اللّغويّ من (سأل) ومعنى السّؤال "طلب الكشف عنِ الشّيء، أو عن حاله في النَّفس، أي عن عملها به، أو ما صُنِع به"[8] وله غير نوع في المُتعدِّي، وههنا مُتعدٍّ بحرف الجرّ.

ومعنى السّؤال أنّها تستدعي علمًا أو معرفة وما يؤدّي إليهما، ويكون جوابها باللّسان[9]، "والسّؤال هنا مُستعمل في الاهتمام، والتّطلّع إلى معرفة الحال"[10].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بشر).
(2) الرّاغب، المفردات: (بشر).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/242.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نذر).
(5) الرّاغب، المفردات: (نذر).
(6) السّمين، عُمدة الحفّاظ: 4/160.
(7) على إحدى القراءتين الواردتين فيه.
(8) جَبَل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (سأل).
(9) السَّمين، عُمدة الحفّاظ: 2/160.
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/692.

5) ﴿أَصۡحَٰبِ﴾: جمع مُكسّر، مفرده صاحب، وجذره اللّغويّ (صحب) وأصله "يدُلُّ على مُقارنة شيءٍ ومُقاربته ... وكلُّ شيءٍ لاءم شيئًا فقد استصحبه"[1] أمّا المعنى العام للّفظة فهو "الصَّاحِبُ المُلازِمُ إنسانًا كان أو حيوانًا، أو مَكانًا، أو زَمانًا، ولا فَرقَ بينَ أنْ تكونَ مُصاحَبَتُهُ بالبدنِ وهو الأصلُ والأكثَرُ، أو بالعنايَةِ والهِمَّةِ"[2] ولـمّا كان معنى الصّحبة اللّزوم والدّوام كان معنى أصحاب الجحيم "أنّهم الباقون في الجحيم أبدًا"[3].

6) ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾: اسمٌ من أسماء النّار، الجذر اللّغويّ منه (جحم)، والأصل فيها "الحرارةُ وشدّتُها، فالجاحم المكان الشديدُ الحرّ"[4] و"الجحيم كلّ نار عظيمة في مهواة"[5].

ولم يبعدِ السَّمينُ الحَلبيّ في تفسيرها عمّا ورد ثمّ، فعنده "الجحيم شدّة توقّدِ النّار وإضرامها، وجحمت النّار أضرمتها، وزدت في توقّدها، ومنه الجحيم، أعاذنا الله منها"[6] وجملته الأخيرة تلخّص معنى اللّفظة الواردة في الآية.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

افتتح الحقُّ تباركَ وتعالى الآية بالتّأكيد المتّصل بـ(نا) الدّالّة عليه سُبحانه، المتّصف بصفة العظمة، ثمّ أخبر بأنّه تعالى أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالحقّ، والدِّين القويم ليبلغه النّاس؛ فمن آمن كان الرّسول له بشيرًا "أَي: مُبشّرًا لأوليائي وأهلِ طاعتِي بالثَّوابِ الكريمِ"[7] ومن لم يؤمنْ كان له الرّسول نذيرًا "أَي: مُنذرًا مخوّفًا لأعدائِي وأهلِ معصيتي بالعذابِ الأليم"[8]، ولـمّا كانت مهمة الرّسول التّبليغ فحسب، فلا يُسألُ عن أصحابِ الجحيم، والآيةُ "تأنيسٌ وتسكين"[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صحب).
(2) الرّاغب، المفردات: (صحب).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/137.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جحم).
(5) جَبَل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (جحم).
(6) السّمين، عُمدة الحفّاظ: 1/308.
(7) البَغويّ، معالم التّنزيل: 1/143.
(8) البَغويّ، معالم التّنزيل: 1/143.
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/692.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

بلاغةُ المَطلَعِ وعظمتُه:

قصرُ الإرسالِ على الله تعالى العظيمِ في هيبته وجلالِه

قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ خطابٌ للرَّسول ﷺ توكيديٌّ ممزوجٌ بعظمةِ الباري وهيبتِه وجلالِه، "وجيء بالمُسند إليه ضمير الجلالة تشريفًا للنّبي ﷺ بعزّ الحضورِ لمقام التّكلم مع الخالق تعالى، وتقدّس كأنّ الله يشافهه بهذا الكلام بدون واسطة؛ فلذا لم يقلْ له إنّ الله أرسلك"[1]، وفيه تأنيسٌ له ﷺ فيمن لا يؤمن برسالته، ويتّهمه بأنّه كاهنٌ أو شاعرٌ أو مجنون.

نكتةُ انتقاءِ لفظِ الحقِّ:

التَّعريضُ بأدعياءِ الحقِّ بقصرِ الحقِّ على الإسلامِ

انتقتِ الآيةُ لفظَ الحقِّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ دون لفظِ الهدى، أو الإسلام أو القرآنِ؛ تعريضًا بأهلِ الكتابِ والمشركين الّذين خالفُوا الحقَّ في أفعالِهم وأقوالِهم ومُعتقداتِهم، فكان إيرادُ هذه الآيةِ في هذا السِّياقِ بغرضِ بيانِ أنَّ ما أُرسِلَ به ﷺ هو الحقُّ دون سِواه، وما عليه أدعياءُ الحقِّ هو الباطلُ لا سِواه.

نكتة التعبير بالحقِّ دون الصِّدق:

الحقُّ أوسعُ مدلولًا وأشملُ مضمونًا من الصِّدق

بينَ الحقّ والصّدق وشائجُ وعلائقُ، إلّا "أَنّ الحقَّ أَعمُّ؛ لأَنَّه وقوعُ الشَّيء في موقعه الَّذي هو أولى به، والصّدقُ الإخبار عن الشَّيء، على ما هو به، والحقُّ يكون إخبارًا وغير إخبار"[2]، لذا لا يحسُنُ في هذا المَوضِع إلّا كلمةُ الحقّ؛ فهي المُناسبةُ لفظًا ومعنًى؛ لِمَا للحقّ من سعةٍ وعُموم، قُبالة التّقييد المُنْبِئ عنِ الصّدق.

علَّةُ تقديمِ البشيرِ على النَّذيرِ:

جاء تقديمُ حالِ التبشيرِ على الإنذارِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/692.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 48.

دفـعُ تـوهـمِ أنَّ الإرســـالَ كـان لـلـمـعـاقـبـةِ، بـقـلـبِ الـوهـمِ بتقديمِ ما يُظنُّ تأخيرُه

﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾؛ لدفعِ توهمِ أنَّ الإرسالَ كان لمعاقبةِ المُخالِفين، وإدانتهم بما ارتكبوه من معاصٍ وأباطيلَ، بل هو لترغيبِ العبادِ المخالفين قبل الموافقين، بأنَّ الإرسالَ هو بشارةٌ قبل أن يكون نِذَارَةً؛ لأنّه أراد ترغيبَ العباد إلى طاعته، والدّخولَ في دينه، والإيماءَ ابتداءً إلى أنّه ﷺ ما أُرسِل إلّا رحمةً للعالمين، فإنْ لم يؤمنوا حذَّرَهم ورهَّبهم بأنّه نذيرٌ لهم من عذابه، فالتَّرغيبُ مقدَّمٌ على التَّرهيب في هذا السِّياقِ وما يُشبِهه.

فائدةُ تعدّد المؤكّدات:

مـزيـدُ عـنـايـةٍ بالخبرِ والتَّنويه بشأنِه ﷺ

قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ مشحونٌ بالمؤكِّدات؛ للدّلالة على أهمّيّة مضمونها، والاهتمام به "وجيء بالتّأكيد، وإن كان النّبي ﷺ لا يتردّد في ذلك، لمزيد الاهتمام بهذا الخبر، وبيان أنّه ينوّه به؛ لِمَا تضمَّنه من تنويه بشأن الرسول"[1] وتسلية له ﷺ بعد أن أرجف المُرجفون، وشكَّكوا برسالته، وطلبوا الآيات على ذلك، مع أنّ القرآنَ أعظمُ آية بين أيديهم؛ فجاءت هذه التّوكيدات لإزالةِ ما قد يُتصَّورُ أنْ يَعْلَقَ من شكٍّ؛ فكانت هذه التَّوكيدات، وهي الجملة الاسميَّة الدّالّة على الثّبوت، ثمّ جاء الاسم المُسند إليه وهو (نا) الدّالّ على العظمة، ثمّ أُعيد هذا الضمير فاعلاً في الخبر ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾، وفي ذلك تأكيد يتبعه تأكيد، ثمّ قدّم المُتعلّق ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾، ثمّ قوّى الجملة بالصِّفة المُشبَّهةِ ﴿بَشِيرٗا﴾ الدّالّة على المبالغة، وكلُّ ذلك ممّا يقوِّي الجملة ويحقّقها.

توجيه القراءات:

النَّـهـي والنَّـفـيُ يُفيدانِ أنَّ حالَ أصحابِ الجحيمِ في أمرٍ مَهولٍ

وردَتْ قراءتان في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾؛ "فقرأَ نافِعٌ ويَعقُوبُ بفَتحِ التَّاءِ، وجَزمِ اللَّامِ على النَّهيِ، وقرأَ الباقُونَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/691.

بضمِّ التَّاءِ، والرَّفعِ على الخبر"[1]؛ فعلى قراءة الجمهور تكون ﴿وَلَا﴾ نافية، و الفعل مبنيًّا للمفعول، أي: لا أحد يسألك عن مصير من لم يؤمنْ ويصدّق، وإن كان مآله الجحيم، أمّا قراءة نافعٍ ويَعقُوب فتكون ﴿وَلَا﴾ ناهية، والفعل بعدها يكون مبنيًّا للفاعل، وهو نهيٌ له ﷺ عن أن يسألَ عن مصير من لم يؤمن؛ لأنّ مآله الجحيم، ويُلمَحُ في القراءتين معنًى خفيٌّ؛ فإنّ في عدم السّؤال "تفخيمًا مما أعدَّ الله لهم من العقاب"[2]، كما يُصيِّر المرء إلى حال سيئة، فإذا سألت عنه قيل لك: لا تسأل عن فلان، كناية عن سوء منقلبه.

فائدةُ التَّعبير بـ: ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾:

عبَّرتِ الآيةُ بالصُّحبةِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾؛ لأنّ الصُّحبةَ أمرٌ إذا حصل فإنّه يستمرُّ ويستقرُّ، والصَّاحبُ مَن لازَمَ أبدًا، وخلا ذلك لا يُسمّى صاحبًا، "والمعنى: لَا تسأل عن الّذين يلازمون النّار ملازمة الصَّاحب؛ فهم أصحابُها والمختصّون بها"[3]، وفي ذلك من التَّرهيبِ لمن أصرَّ على كفرِه وغيِّه ما لا يخفى؛ فإنَّ الصُّحبةَ في هذا السِّياقِ لها دلالتان، الأولى دلالةُ المآلِ، والثَّانية دلالة الحال؛ فإنَّ إطلاقَ الصُّحبةِ للجحيمِ على الكافرين المُصرِّين يُصوِّرُهم على أقبحِ صورةٍ في الدُّنيا، ممَّا يجعل الآخرينَ ينفِرون منهم، ويُخبِرُ بمآلِهم في الآخرةِ.

تـصـويـرُ قُـبـحِ الكافرين بدلالةِ الحال، وترهيبُ مصيرِهم بدلالة المآل

(1) ابن الجزري، النّشر: 2/221.
(2) الأزهري، معاني القراءات: 1/171.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/387.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»